

وظيفة اللغة

إنّ الوظيفة الأساسية للغة هي (التواصل)، أي: تحقيق عمليّة الفهم والإفهام، فهي التي تقوم بنقل الأفكار من المتكلم إلى السامع، أي: أنّها تقوم بوظيفة (الاتصال)، أو (التوصيل).

وما توصله اللغة أو تنقله أو تعبّر عنه، هو الأفكار، والمعاني، والانفعالات، والرغبات، أو (الفكر بوجه عام)، ولذا نجد أنّ اللغة ينبغي أن تتطور، عبر الزمن، وذلك لحاجتها إلى التكيف مع حاجات الاتصال التي تطلبها الجماعة اللغوية التي تتكلم بها.

وعلى الرغم من أنّ الوظيفة الرئيسة للغة هي (التوصيل) للأفكار، والمشاعر فإننا نجد للغة وظائف أخرى لا تبرز فيها هذه الوظيفة بصورة واضحة، ومن الأمثلة التي تبدو فيها وظيفة (التوصيل) غير أساسية: القراءة الانفرادية بصوت عالٍ، استعمال اللغة في الصلاة، والدعاء، والمناجاة مع الله تعالى. وقد عدّ اللغويون للغة وظائف أخرى، لكنها وظائف ثانوية، منها: أنّ اللغة واحدة من مقومات الوطن الواحد، وعامل في الوحدة الوطنية؛ لأنّ الشعب عندما يتكلم لغة واحدة سيُشعر أنّ اللغة تربط أبناءه بعضهم ببعض وسيلة للترباط القومي والدولي، فقد قامت تجمعات دوليّة تعتمد على أسس منها اللغة، كما نجد في تجمع الدول العربيّة في (جامعة الدول العربيّة). وسيلة للترباط الاجتماعي، فهي التي يحصل بها التواصل الاجتماعي بين أفراد المجتمع، فهي تستعمل في إلقاء التحيّة والسؤال عن الصّحة وطلب المساعدة، وهي التي بها يقام الودّ وتحقّق الألفة بين الناس، وسيلة للتسلية، فقد يتلاعب الإنسان بصوته، أحياناً، قصد المتعة.

٣- وهناك نظريات أخرى قيلت في كيفية نشأة اللغة، ويمكن تلخيص هذه النظريات بأنها تبنى على افتراض أن اللغة نشأت محاكاة للأصوات الطبيعيّة الصّادرة من الطبيعة أو الحيوانات. فأصوات الحيوانات كصهيل الفرس، ونعيق الغراب، وأصوات الطبيعة، كأصوات الرعد، والماء، وغيرها يقلدها الإنسان، ويطلقها على مصادرها، فيسمّي كلّ مظهر من مظاهر الطبيعة، أو حيوان بصوته الذي يصدره.

وقريب من هذا الافتراض ما يصدره الإنسان في حالاته الانفعاليّة، فعندما يتوجّع يصدر صوتاً عفويّاً هو (أخ)، وعندما يضجر يصدر صوت (أف)، وتدرجياً نشأت اللغة عن طريق تقليد هذه الأصوات.

ومن الضروري في هذا المبحث أن نثبت أن البحث في نشأة اللغة أمر فيه التخمين أكثر من الحقيقة؛ والسبب في هذا أن المتكلم الأوّل سواء أكان آدم (عليه وعلى نبينا وآله الصلاة والسلام) ، أم غيره من البشر، عاش في زمن بعيد جداً عنا، ولم تصلنا عنه الأدلة العلميّة التي يطمئن بها قلب الباحث؛ ليقطع بنظرية لنشأة اللغة، ولذا نقول: إن كلّ هذه النظريات، وغيرها لا تفسّر كيفيّة نشوء اللغة بالطريق العلميّ المقنع، لأنّها بنيت على تخمين لا على دليل علمي. بيد أنّها تعطينا تفسيرات جزئية لنشأة اللغة، ولعلّ البحث في القادم من الزمن سيكشف لنا عن حقائق جديدة.

اللغة والكتابة

ذكرنا في تعريف اللغة أن جوهرها (الصّوت)، فاللغة ما هي إلا رموز صوتيّة، ومعنى هذا أن طبيعة اللغة تتخذ في المقام الأول صورة صوتية منطوقة مسموعة، أما الكتابة، فهي محاولة للتعبير عن الواقع الصوتي للغة، ومحاولة لنقل الظاهرة الصوتية السمعية إلى ظاهرة كتابية مرئية، فاللغة تُسمع بالأذن، والكتابة تُرى بالعين.

والكتابة محاولة لترجمة الظاهرة الصوتية السمعية إلى ظاهرة كتابية مرئية. وهي محاولة لنقل اللغة من بعدها الزماني إلى البعد المكاني، فالظواهر الصوتية تتابع في الزمن والحروف المكتوبة تتابع في المكان، وإذا كانت اللغة في المقام الأول ظاهرة صوتيّة، فمن الطبيعي أن يقوم البحث اللغوي بدراسة اللغة في صورتها الصوتيّة.

وعلى أن نتميز دائماً بين الطبيعة الصوتيّة للغة، وكيفية تدوين هذه اللغة، فالخطّ العربيّ شيء، واللغة العربيّة شيء آخر.